معركة آمد بين المسلمين والبيزنطيين

(رمضان ٣٦٢هـ/يوليه ٩٧٣م)

المقدمات والنتائج

د/ فايزة صالح سيجيني

أستاذ مساعد بقسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك عبد العزيز بجدة

يعد القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى قرنًا فاصلاً فى تاريخ الصراع الإسلامى البيزنطى، الذى استمر قرابة ثمانية قرون، منذ أن بدأت حركة الفتوحات الإسلامية بغية نشر الإسلام وإعلاء كلمته فى شمال الجزيرة وبلاد الشام ومصر والشمال الأفريقى، وحتى سقوط القسطنطينية على يد العثمانيين عام ١٤٥٣م[١]، إذ شهد هذا القرن تنامى القوة العسكرية البيزنطية على أيدى أباطرة عسكريين وجهوا جل اهتمامهم وطاقات إمبراطوريتهم نحو هدف واحد هو استرداد ما حققه المسلمون عبر القرون المنصرمة فى شرق البحر المتوسط وآسيا الصغرى وبلاد الشام، فى وقت كان الشرق الإسلامى منقسما على نفسه بين خلافتين، عباسية سنية فى بغداد، وفاطمية شيعية فى مصر، ودويلات وإمارات شبه مستقلة عن الخلافة.

ففى أواخر القرن التاسع، وتحديدًا عام ٨٦٧م، قدر للإمبراطورية البيزنطية

---

(١) وضعت العديد من الدراسات التى تناولت العلاقات الإسلامية البيزنطية بوجه عام، منها : إبراهيم العدوى، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة ١٩٥٨م ؛ إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون، القاهرة، ١٩٦٣م ؛ فازيليف، العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة، القاهرة، د.ت. ؛ فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، جزءان، القاهرة، ١٩٦٦م ؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجى، جـ١ البيزنطيون والعالم الإسلامى، القاهرة، ٢٠٠٣م.

أن تبدأ عصرها الذهبى فى ظل حكم أباطرة الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٦م)، والذى انتهى بوفاة الإمبراطور باسيل الثانى المقدونى عام ١٠٢٥م . وهؤلاء أباطرة محاربون كانوا على قدر كبير من الكفاءة والخبرة فى السياسة والإدارة، والأهم الطموح الذى جعل أنظارهم تتجه نحو استعادة عظمة إمبراطوريتهم فى الداخل والخارج، ولذلك شهدت الإمبراطورية على أيديهم نهضة إدارية وعسكرية لا مثيل لها [١]، ويكفى أن نطالع كتابات هؤلاء الأباطرة العسكرية، ككتابات قسطنطين السابع بورفورجينيتوس (٩١٣-٩٥٩م) Constantine Porphyrogenitus عن الثيمات والإدارة [٢]، وكتابات نقفور فوقاس (٩٦٣-٩٦٩م)

---

(١) عن أوضاع الإمبراطورية البيزنطية، الداخلية والخارجية، فى عصر الأسرة المقدونية، انظر :
وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ٣٢٤-١٠٢٥م، الإسكندرية، ١٩٨٧ ؛ نجلاء مصطفى عبد الله شيحة، مدينة القسطنطينية فى القرن العاشر، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

Finlay , J.V., History of the Byzantine Empire 716-1057 AD , New York , 1913 ; Jenkins , R., Byzantium : the Imperial Centuries 610-1071 A.D. , London , 1966 , pp.183ff ; Whittow , M., The Making of Orthodox Byzantium 600-1025 , London , 1996 , pp.310-335 ; Scchlumberger , G., Un empereur de Byzance Nicéphore Phocas , Paris , 1930.

(٢) عن كتاب قسطنطين السابع "عن الثيمات"، انظر :
عبد الرحمن محمد العبد الغنى، الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية ٤٠-٣٣٩هـ/ ٦٦٠-٩٥٠م، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الحادية عشرة، الرسالة الحادية والسبعون، ١٤١٠-١٤١١هـ/ ١٩٨٩-١٩٩٠م، ص٢٤-٢٩ ؛ طارق منصور، قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس وكتابه "عن الأقاليم البيزنطية"، بحث منشور فى كتاب قطوف الفكر البيزنطى، جـ١ الأدب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٠٦-١٤٢ ؛ طارق منصور،الأقاليم البيزنطية فى ضوء كتاب قسطنطين بورفيروجنيتوس "عن الأقاليم البيزنطية"، بحث منشور فى كتاب قطوف الفكر البيزنطى، جـ١ الأدب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٤٥-١٩٣ .
وقد ترجم هالدون جزءاً من هذا الكتاب فى :

Constantine Porphyrogenitus , Three Treatises on Imperial Military Expeditions , trans. J.Haldon , Wien , 1990.

وعن كتابه عن الإدارة، انظر :
قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة محمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٤.

Constantine Prophyrogenitus , De Administrando Imperio , ed. G. Moravcsik , trans. J.H. Jenkins , 1967.

Nikephoros Phokas II العسكرية [١]، وتكتيكا Taktika ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) Leo VI [٢]، حتى ندرك إلى أى مدى بلغ اهتمام حكام هذه الأسرة بفنون القتال واستراتيجيته وأدوات القتال وتنظيم الجيش، كنقطة انطلاق أساسية نحو تحقيق هدفهم الرئيسى فى سياسة التوسع الخارجى، خاصة تجاه الخطر الداهم بالنسبة لهم، ممثلاً فى الدولة الإسلامية التى ألحقت بإمبراطوريتهم هزائم متتالية منذ بدء حركة الفتوحات الإسلامية فى أوائل القرن السابع الميلادى، وقلصت حدودها، وباتت تهدد العاصمة الإمبراطورية ذاتها خلال العصرين الأموى والعباسى الأول[٣].

وفى الشرق الأدنى الإسلامى، كانت الأحوال السياسية والإدارية والعسكرية تسير فى اتجاه مغاير تماما، فمنذ أواخر القرن التاسع الميلادى كانت الخلافة العباسية تعانى من الانحلال السياسى وضعف السلطة المركزية، وبدأت ولايات الخلافة شرقا وغربا تعلن راية الانفصال عن جسد الخلافة، وكانت النتيجة قيام

---

(١) ظهرت ترجمات إنجليزية لكتابات نقفور فوقاس العسكرية، منها :

The Praecepta militaria of the Emperor Nikephoros II Phokas , in : Sowing the Dragon's Teeth : Byzantine Warfare in the Tenth Century , trans , E. McGeer , Washington , D.C., 1995 , pp.12-60 ; Skirmishing , in : Three Byzantine Military Treatises , trans. G.T. Dennis , Washington , D.C., 1985 , pp.143-239.

وانظر الدراسة التى تناول أحد فصولها التنظيمات العسكرية فى عهد نقفور فوقاس :

Guerdan , R., Byzantium : Its Triumph and Tragedy , New York , 1962 ,107-128.

(٢) عن تكتيكا ليو السادس، انظر :

طارق منصور، فن القتال عند البيزنطيين : دراسة فى الاستراتيجية العسكرية فى ضوء "تكتيكا ليو الحكيم"، بحث منشور فى كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى : مجموعة بحوث مهداة إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاما، تحرير حاتم عبد الرحمن الطحاوى، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٤٧-١٨٤.

Tougher , Sh., The Reign of Leo VI (886-912) : Politics and People , Leiden- New York- Koln , 1997 , pp.164-193.

(٣) عن محاولات المسلمين فتح القسطنطينية، انظر :

صلاح حسن العاور " المحاولات العربية لفتح القسطنطينية فى العصر الأموى، مجلة المؤرخ العربى، العدد الثامن، ٢٠٠٠م.

Canard ,M., Les expeditions des arabes contre Constantinople , Journal Asiatique 108 (1926) pp.61-121.

العديد من الدويلات والإمارات شبه المستقلة عن الخلافة فى المشرق الفارسى ومصر والشام، وحتى فى بغداد نفسها مركز وعاصمة الخلافة ظهر الخلفاء العباسيون فى ثوب المغلوبين على أمرهم، وبدوا ألعوبة فى أيدى العناصر الفارسية، خاصة مع قيام أسرة بويهية شيعية استمر حكمها فى بغداد من سنة ٩٤٥ حتى سنة ١٠٥٥م (٣٣٤ هـ-٤٤٧هـ) [١].

ونتيجة لاختلال ميزان القوى بين ضعف وانحلال للخلافة العباسية، ونهضة وطموح توسعى للإمبراطورية البيزنطية، تحققت لأباطرة الأسرة المقدونية الأول مكاسب عسكرية وتوسعية مهمة على حساب الدولة الإسلامية فى الشرق، حيث استثمروا ضعف العباسيين وانقسام المسلمين، وشرعوا فى الضغط عليهم برياً بداية من مناطق الثغور فى آسيا الصغرى، بهدف مد حدودهم شرقا إلى إقليم الجزيرة فى شمال العراق وأرمينيا والشام، وبحرياً بهدف استرداد الجزر والمراكز البحرية الهامة فى شرق البحر المتوسط، وقد حقق هؤلاء الأباطرة نجاحاً منقطع النظير، وكانت البداية التمهيدية عندما قاد مؤسس الأسرة باسيل الأول حملات ناجحة فى آسيا الصغرى [٢]، ثم جاءت مرحلة الانطلاق فى عهد

---

(١) مسكويه، كتاب تجارب الأمم، نشر ف أمدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، جـ٢، ص٨٤-٨٧ ؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، تحقيق عبد الله القاضى، ١١ جزءاً، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ٧، ص ٢٩٠-٢٩٥ ؛ علاء الدين عبد العزيز أبو الحسن، السياسة الخارجية للدولة البويهية ٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، ١٩٩٧م، ص٢٥٣ ؛ إبراهيم بيضون، البويهيون والخلافة، بحث منشور فى مجلة المنطلق، عدد١١٤، لبنان، شتاء ١٩٩٦م، ص١٠-٢٦.

Whittow , Orthodox Byzantium , pp.327-334 ; Donohue , J.J., The Buwayhid Dynasty in Iraq 334H./945 to 403H./1012 : Shaping Institutions for the Future . Brill- Leiden- Boston , 2003.

(٢) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ١٠ أجزاء، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، جـ٩، ص٦٦٥-٦٦٦ ؛ أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون فى شرقى البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجريين / التاسع والثانى عشر الميلاديين، القاهرة، ١٩٨٢م، ٨٩-٩١.

Whittow , Orthodox Byzantium , pp.314-315.

قسطنطين السابع بورفورجينيتوس (٩١٣-٩٥٩م) عندما تقدمت الحدود البيزنطية شرقاً ووصلت جيوشها إلى أرمينيا وعبرت نهر الفرات [١]، وفى عهد رومانوس الثانى (٩٥٩-٩٦٣م) Romanos II ضمت بيزنطة جزيرة كريت سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م اهم نقاط الارتكاز الإسلامى البحرى فى شرق البحر المتوسط [٢]، وفى عهد نقفور فوقاس(٩٦٣-٩٦٩م) واصلت العسكرية البيزنطية التقدم شرقا واستولت على المصيصة وطرسوس وجزيرة قبرص ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، مدعمة بذلك تفوقا بحريا بيزنطيا ظاهرا فى شرق البحر المتوسط، وتوجت انتصاراتها بالاستيلاء على أنطاكية سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، وفرض سيادتها على إمارة حلب بعد أن عقدت مع الدولة الحمدانية اتفاقية فى صفر ٣٥٩هـ/ ديسمبر٩٦٩م- يناير ٩٧٠م، اعترف فيها أميرها بالتبعية لبيزنطة [٣].

هكذا باتت الخلافة العباسية، قلب العالم الإسلامى فى الشرق، مكشوفة أمام الجيوش البيزنطية برا وبحرا، وبدأ المسلمون فى إقليم الجزيرة فى شمال العراق يشعرون بشدة وطأة العسكرية البيزنطية، وبدت الخلافة العباسية فى ذلك الحين فريسة سهلة يستعد صائدها لالتهامها، وجاء خلف نقفور فوقاس، القائد العسكرى يوحنا تزيمسكس ليرتقى العرش البيزنطى سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، وليواصل سياسة سلفه التوسعية على حساب الشرق الأدنى الإسلامى الضعيف.

---

(١) عبد الرحمن محمد العبد الغنى، أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين ٣٣-٤٥٧هـ/ ٦٥٣-١٠٦٤م، الكويت، ١٩٨٩، ص١٦٧-١٧٣.

Whittow , Orthodox Byzantium , pp.322-325.

(٢) إسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ٢٤٣-٢٦٤؛ أرشيبالد لويس؛ القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ طارق منصور، البيزنطيون والعالم الإسلامى، ص١٨٤-١٨٨.

Jenkins , R., Byzantium : The Imperial Centuries A.D. 610-1071 , London , 1966 , p.275.

(٣) طارق منصور، بيزنطة، ص١٩٩-٢١٠؛

McGeer , E., Dragon's Teeth , 225-228 ; Whittow , Orthodox Byzantium , pp.326 ; Jenkins , Byzantium , pp.275-279.

ومن الجدير بالذكر أن اعتلاء تزيمسكس العرش جاء فى وقت كانت الأوضاع الكائنة فى الخلافة مهيأة تماما لمشروعه التوسعى، كما كانت مهيأة من قبل لسلفه نقفور فوقاس، ففى ذلك الحين كان أمير الأمراء البويهى عز الدولة بختيار (٣٥٦-٣٦٧هـ/ ٩٦٦-٩٧٧م) يسيطر فعليا على شئون الحكم فى بغداد، وهو ابن معز الدولة وثانى الأمراء البويهيين الذين حكموا العراق، لكنه لم يشابهه فى خبرته ودرايته بشئون الدولة، بل انصرف إلى حياة اللهو والمجون، وكتب عنه مسكويه المعاصر للأحداث: "اشتغل باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء" [١]، ونتيجة لذلك ساءت أوضاع الخلافة الاقتصادية وكثرت الفتن والاضطرابات [٢].

وإذا كان من المفترض أن يكون عز الدولة بختيار، بوصفه الحاكم الفعلى فى بغداد، أول المدافعين عن إقليم الجزيرة فى شمال العراق، حماية لنفسه وللخلافة، فقد كانت القوة الإسلامية الثانية، بل والأكثر مسئولية، فى هذه المهمة، تتمثل فى الحمدانيين الذين نجحوا فى اقتطاع إمارة خاصة بهم فى إقليم الجزيرة مركزها مدينة الموصل (٩٢٩-٩٩١م)، وكان أميرها وقتذاك أبو تغلب الحمدانى، إلا أن هذه القوة هى الأخرى لم تكن ظروفها الداخلية أو الخارجية تؤهلها، أو حتى تسمح لها، بالتصدى للبيزنطيين، فإلى جانب تورطها فى صراع داخلى على السلطة بين أبناء الأسرة الحمدانية [٣]، كان هناك عامل هدم أشد خطراً تمثل فى الصراع الطائفى بين سنة وشيعة العراق، والصراع العرقى بين الديلم وعلى رأسهم بختيار والأتراك يتزعمهم الحاجب سبكتكين ومن بعده القائد التركى أفتكين، الأمر الذى انتج حربا أهلية طائفية وعرقية أسهمت فى تزايد ضعف وتشتيت القوى الإسلامية فى العراق [٤].

تلك هى المقدمات التى سبقت معركة آمد Amida (رمضان ٣٦٢هـ/ يوليه

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، جـ٢، ص٢٣٤ ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص٢٩٩.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، جـ٢، ص ٢٣٤-٣٠٣.

(٣) مسكويه، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٣٨-٢٣٩، ٢٥٤-٢٥٦.

(٤) مسكويه، السابق، جـ٢، ص ٣١٨-٣٢١، ٣٢٣-٣٢٧.

٩٧٣م)، وهى مقدمات تعكس تفوقا عسكريا بيزنطيا كبيرا على المسلمين، ومن ثم كان من المتوقع أن يواصل يوحنا تزيمسكس انتصارات أسلافه من اباطرة الأسرة المقدونية، لكن جاءت هذه المعركة لتمثل حجر عثرة وسقطة مهينة للعسكرية البيزنطية، الأمر الذى دفع الباحثة إلى طرح قضية الهزيمة البيزنطية فى هذا البحث، فالحدث رغم أهميته لم يلفت انتباه الباحثين المتخصصين فى تاريخ الصراع الإسلامى البيزنطى خلال القرن العاشر، هذا مع الوضع فى الاعتبار دراسة الدكتور عمر كمال توفيق عن السياسة الشرقية ليوحنا تزيمسكس، وهى دراسة بالإضافة إلى أنها نشرت عام ١٩٦٦م، تناولت هذه المعركة باقتضاب دون طرح إشكالية الأسباب التى أدت إلى هزيمة البيزنطيين رغم تفوقهم العسكرى الواضح، وانتصار المسلمين رغم انقسامهم وضعفهم البين [١]، وهى الإشكالية التى ستحاول الباحثة قدر جهدها مناقشتها والإحاطة بملابساتها، مع الوضع فى الاعتبار محاولة تتبع نتائجها المباشرة على الصراع العسكرى الإسلامى البيزنطى خلال تلك الفترة.

مما لاشك فيه، أن ظروف الخلافة العباسية والقوى الإسلامية فى العراق كانت مغرية ومشجعة لأن يواصل يوحنا تزيمسكس سياسة أسلافه التوسعية، واضعاً نصب عينيه تحقيق مجد شخصى لم يحقق من قبل، بالسيطرة على إقليم الجزيرة شمال العراق، ليهدد الخلافة الإسلامية ذاتها، ويرى الدكتور عمر كمال توفيق أنه فى هذه المرحلة كان متشربا بفكرة الحرب المقدسة، أو ما اعتبره مقدمات للعدوان الصليبى [٢]، بإسقاط رمز الإسلام ممثلاً فى خلافته، واسترداد المقدسات المسيحية فى الشرق من المسلمين، وأياً كانت الأيديولوجية المحركة ليوحنا تزيمسكس، فالذى لاشك فيه أن الحافز الأول الذى دفعه إلى تبنى هذه السياسة تمثل فى اليقظة العسكرية البيزنطية التى تحققت فى عصر أسلافه،

---

(١) عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبى : الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٢٥-١٢٧.

(٢) عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ٨٧-١٠٠.

والأهم هو حالة الضعف غير المسبوقة للمسلمين، الأمر الذى يدفع إلى التساؤل، لماذا لم يفكر أباطرة بيزنطة فى مد حدودهم على حساب الدولة الإسلامية القوية زمن الأمويين أو خلال العصر العباسى الأول؟!.

على أية حال، شرع يوحنا تزيمسكس فى إعداد جيشه وعتاده لشن حربه التوسعية، فقاد خلال الفترة الممتدة من سنة ٩٧٢م إلى سنة ٩٧٥م أربع حملات، ومما له دلالة بالغة أن حملاته الثلاث الأولى شنت على إقليم الجزيرة فى شمال العراق خلال الفترة من ٩٧٢-٩٧٤م، بينما شن حملته الأخيرة على بلاد الشام سنة ٩٧٥م، الأمر الذى يدعو إلى التساؤل: هل شكل إقليم الجزيرة شمال العراق صعوبة بالغة أمام التقدم البيزنطى إلى الحد الذى يستوجب إرسال ثلاث حملات متتالية، هذا مع الوضع فى الاعتبار ضعف القوتين الرئيسيتين، البويهيين فى بغداد، والحمدانيين فى الموصل ؟ وهل كان أشد صعوبة من الشام التى تتواجد فيها قوة الدولة الحمدانية، وفى وقت كان الفاطميون يضعون لبنة قوتهم الفتية فى الشام؟، والواقع أن إجابة هذه الأسئلة ترتبط ارتباطا وثيقا بموضوع البحث، فمعركة آمد، أو بالأحرى مدينة آمد [1]، هى التى شكلت أمام البيزنطيين درعا واقيا وحاميا لشمال العراق، وكانت هزيمة البيزنطيين فيها هى العامل المباشر لقيام حملات بيزنطية أخرى على هذه المنطقة.

---

(١) آمد بكسر الميم مدينة من مدن ديار بكر فى منطقة الجزيرة، وهى المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات، وقد كتب عنها ياقوت الحموى " آمد بكسر الميم وما أظنها إلا لفظة رومية ولها فى العربية أصل حسن، لأن الأمد الغاية ويقال آمد الرجل يأمد أمدا"، ويذكر أيضا أن الذى بناها هو آمد شقيق دعر الذى استخرج يوسف عليه السلام من الجب.

ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت، د.ت.، جـ١، ص٥٦، جـ٣، ص٢٦٢.

ويصفها الجغرافيون العرب بأنها من أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا، ينبع نهر دجلة من جبالها وتقع على غربه، وأنها بلد قديم حصين سورها مبنى من الحجارة السوداء، وأن بها مزارع مزدهرة وطواحين وبساتين، وأنها فتحت فى سنة ٢٠هـ على يد عياض بن غنم، لمزيد من التفاصيل انظر : ابن خرداذبه، كتاب المسالك والممالك، بغداد، د.ت.، ص٩٥-٩٦، ١٧٤، ٢١٥، ٢٣١، ٢٥١؛ الإصطخرى، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، القاهرة، ١٣٨١هـ، ص ٧٢، ٧٥.

قاد يوحنا تزيمسكس بنفسه أولى حملاته على إقليم الجزيرة سنة ٩٧٢م، وتمكن فيها من نهب وتخريب عدد من المدن أهمها نصيبين، وحاصر ميافارقين إحدى مدن ديار بكر الرئيسية، فلما طال أمد الحصار، بالإضافة إلى عدم رغبته فى إطالة حملته، رفع عنها الحصار، وعاد إلى القسطنطينية تاركا قواته وعلى رأسها قائده الدمستق مليح الأرمنى، وعهد إليه بقيادة الحملة التالية على العراق، ويبدو أن هذه الحملة لم تهدف إلى التوسع والاستيلاء قدر كونها حملة لجس النبض واستكشاف المنطقة ومدى قوة المسلمين فيها، والدليل على ذلك أن تزيمسكس اكتفى بالنهب والقتل، تاركاً مهمة الحملة الرئيسية لقائده مليح [١].

وهنا نأتى إلى إشكالية أسباب هزيمة الجيش البيزنطى أمام المسلمين فى معركة آمد (رمضان ٣٦٢هـ/ يوليه ٩٧٣م)، والتى أرجعها الدكتور عمر كمال توفيق إلى أن: "الدمستق مليحا كان عليه أن يحارب فى إقليم الجزيرة فى ظروف تختلف عن الظروف التى عملت فيها حملة تزيمسكس السابقة، فلقد قام رد فعل بين المسلمين نتيجة لانتصارات تزيمسكس، وبقاء القوات البيزنطية تحت قيادة مليح على مقربة من المراكز الإسلامية فى الجزيرة، واستمرار تهديد البيزنطيين للمسلمين" [٢]، ورغم وجاهة هذا الرأى واتفاق الباحثة معه، إلا أن رد فعل المسلمين وحده ربما لم يكن كافيا لتحقيق هذا النصر فى ظل حالة الضعف الشديدة التى اعترت الخلافة العباسية والقوى الإسلامية الرئيسية فى المنطقة، سواء البويهيون فى بغداد أم الحمدانيون فى الموصل، وهى الحالة التى قابلها من الناحية الأخرى تفوق عسكرى بيزنطى واضح، كما أن مجريات الأحداث قبل المعركة لا توحى بأى نوع من توحد الكلمة على المستوى الرسمى بين حكام هذه القوى، وربما كان رد الفعل هذا ينطبق على المستوى الشعبى أكثر من مستوى المسئولين المسلمين وقتذاك.

---

(١) عمر كمال توفيق، يوحنا تزيمسكس، ص ١١٨-١٢١ ؛ علاء الدين عبد العزيز، السياسة الخارجية للدولة البويهية، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٢) عمر كمال توفيق، يوحنا تزيمسكس، ص ١٢١.

ففى حملة تزيمسكس الأولى، لم تتحرك الخلافة ولا الأمير البويهى لنجدة إقليم الجزيرة، وحتى الأمير أبو تغلب الحمدانى مع شعوره بالعجز عن المواجهة، اضطر إلى عقد اتفاق تعهد فيه بدفع إتاوة سنوية للإمبراطورية البيزنطية، وقد وصف ابن الأثير رد فعل أبى تغلب وصفا يدل على مدى ضعفه بقوله: " أغار ملك الروم على الرها ونواحيها وساروا في ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغنموا وسبوا وأحرقوا وخربوا البلاد وفعلوا مثل ذلك بديار بكر ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك حركة ولا سعى في دفعه لكنه حمل إليه مالاً كفه به عن نفسه " (١)، كما وصفه ابن كثير بقوله: " ولم يغن عن تلك النواحي أبو تغلب بن حمدان متوليها شيئا، ولا دافع عنهم ولا له قوة" (٢)، ويبدو أن هذا الخمول والخنوع من قبل القوى السياسية الرسمية سواء فى الموصل أو فى عاصمة الخلافة أثار حالة من الاستياء العارم، خاصة بين أهالى إقليم الجزيرة، حيث تشير المصادر الإسلامية إلى أنه بعد استيلاء تزيمسكس على نصيبين وما فعله بها، وفدت جماعات ممن تبقى من أهلها، ومن الموصل، وديار بكر، وديار ربيعة، والرها، وميافارقين، وغيرها من مدن الإقليم على بغداد لطلب النجدة، وهناك استنفروا الناس فى المساجد والمشاهد، مستعظمين ما قام به الروم من النهب والسلب والقتل والأسر، ومعاتبين الخلافة على تقصيرها فى صد الأعداء، ومحذرين أهل بغداد من مغبة الأمر ووقوع هذه المناطق فى أيديهم، وبالتالى خطورة انفتاح الطريق أمام البيزنطيين وتقدمهم إلى بغداد، وقد أثار ذلك عامة بغداد، خاصة جماعات العيارين، فقاموا بمظاهرات صاخبة، حملوا فيها المصاحف، وكسروا المنابر، ومنعوا الخطباء من الخطبة؛ استنكارا لموقف المسئولين وتهاونهم فى الجهاد ضد الروم، وسار المتظاهرون إلى قصر الخليفة العباسى المطيع، وحاولوا اقتحامه، وتطاولوا عليه بالسباب، فيذكر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٣٢٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق على محمد البجاوى، ١٤ جزءاً، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٢م، جـ١١، ص٢٧١.

مسكويه "ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكر مدينة السلام، واستنفروا المسلمين فى المساجد الجامعة والأسواق، وحكوا انفتاح الطريق للروم، وأنه لا مانع لهم من تورد ديارهم وهى متصلة بالعراق، فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد صاروا إلى دار المطيع لله، وحاولوا الهجوم عليها، وقلعوا البعض من شبابيكها، فأغلقت الأبواب دونهم بعد أن كانوا يصلون اليه ويأتون عليه، فأسمعوه ما كره، ونسبوه إلى العجز عما أوجب الله على الأئمة، وتجاوزوا ذلك إلى ما يقبح ذكره" (١)، وفى ذلك أيضا يذكر ابن الأثير: " فسار جماعة من من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين، وقاموا في الجوامع والمشاهد، واستنفروا المسلمين، وذكروا ما فعله الروم من النهب والقتل والأسر والسبي، فاستعظمه الناس، وخوفهم أهل الجزيرة من انفتاح الطريق وطمع الروم، وأنهم لا مانع لهم عندهم، فاجتمع معهم أهل بغداد وقصدوا دار الخليفة الطائع لله، وأرادوا الهجوم عليه، فمنعوا من ذلك وأغلقت الأبواب، فأسمعوا ما يقبح ذكره" (٢)، ويذكر ابن كثير: " ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد، وأرادوا أن يدخلوا على الخليفة المطيع لله وغيره يستنصرونه ويستصرخون، فرثى لهم أهل بغداد، وجاءوا معهم إلى الخليفة فلم يمكنهم ذلك" (٣)، كذلك يذكر الحافظ الذهبى فى ذلك: "وتوصل من نجا إلى بغداد وقام معهم المطوعة، واستنفروا الناس ومنعوا من الخطبة، وحاولوا الهجوم على المطيع، وصاحوا عليه بأنه عاجز مضيع لأمر المسلمين" (٤).

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، جـ٢، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص٣٢٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١١، ص٢٧١.

(٤) الحافظ الذهبى، العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ٥ أجزاء، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م، جـ٢، ص٣٣١ . وانظر كذلك نص ابن تغرى بردى: "وفيها حشدت الروم، وأخذوا نصيبين واستباحوا وقتلوا وسبوا، وقدم بغداد من نجا منهم واستنفروا الناس في الجوامع، وكسروا المنابر، ومنعوا الخطيب، وحاولوا الهجوم على الخليفة المطيع لله، واقتلعوا بعض شبابيك دار الخلافة حتى غلقت أبوابها، =

هكذا كشفت المصادر الإسلامية عن حالة الغليان التى اعترت الرأى العام فى العراق عامة، وبغداد خاصة . والغريب أن الخليفة لم يتحرك لرد الفعل الشعبى، بل لم ينصرف المتظاهرون عن قصره إلا بعد دفعهم بالقوة وقتل جماعة منهم [1]، ومن هنا كان لابد من أن تتجه أنظار المسلمين إلى الرجل الثانى الذى يرتجى منه التدخل، الأمير البويهى عز الدولة بختيار، الذى تجلت لامبالاته وعدم اكتراثه بما يحدث فى شمال العراق فى وجوده بنواحى الكوفة يمارس رياضة الصيد الأثيرة إلى نفسه، وإذا كانت المصادر الإسلامية قد اتفقت على سلبية موقف الخليفة المطيع تجاه الأحداث، فقد اختلفت حول موقف الأمير البويهى منها، وإن اتفقت على أن الأخير كان صاحب الحل والعقد فى شئون الخلافة وقتذاك، وفى ذلك يذكر مسكويه الأكثر قرباً ومعاصرة للأحداث أن وجوه أهل بغداد خرجوا إلى بختيار "منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين، وانصرافه عن تدبيرهم إلى مجاهدة عمران وهو من أهل القبلة وإمهاله للروم وهم أعداء الملة ثم تشاغله بالصيد واللهو عن جميع مهمات المملكة، ووعدهم بالعود إلى واسط ومصالحة عمران والانكفاء إلى الثغور فسكنوا وانصرفوا" [2].

=ورماهم الغلمان بالنشاب من الرواشن، وخاطبوا الخليفة بالتعنيف وبأنه عاجز عما أوجبه الله عليه من حماية حوزة الإسلام، وأفحشوا القول" . ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق عادل نويهض، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ، جـ٤، ص٦٥. وانظر كذلك : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيروت، ١٩٧١م، جـ٤، ص٢٤٦ ؛ ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق محمود فاخورى، محمد رواس، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، جـ٢، ص٤٠؛ القلقشندى، مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ٥ أجزاء، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥، جـ١، ص٣٠٦.

Donohue , Buwayhid Dynasty , pp.269-270.

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٣٢٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١١، ص٢٧١ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١، ص ٣٠٦.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، جـ ٢، ص٣٠٤ . وفى ذلك يذكر ابن الأثير : " كان بختيار حينئذ يتصيد=

وهنا تختلف المصادر الإسلامية حول رد فعل الأمير البويهى بختيار، حيث يشير بعضها إلى أنه تعامل مع الموقف بإيجابية، وأخذ بزمام المبادرة فى الإعداد والتجهيز لملاقاة البيزنطيين، ففى ذلك يذكر ابن الأثير: "وأرسل -بختيار- إلى الحاجب سبكتكين يأمره بالتجهز للغزو وأن يستنفر العامة، ففعل سبكتكين ذلك، فاجتمع من العامة عدد كثير لا يحصون كثرة، وكتب بختيار إلى أبي تغلب بن حمدان صاحب الموصل يأمره بإعداد الميرة والعلوفات ويعرفه عزمه على الغزاة، فأجابه بإظهار الفرح وإعداد ما طلب" [1]. ويذكر الحافظ الذهبى: "فبعث الحاجب سبكتكين يستنفر الناس، فتجهز خلق كثير من العامة، وكتب إلى أبى تغلب أن يعد الميرة والإقامة، فأظهر السرور والفرح"[2]، كما يقول ابن العماد: "فسار العسكر من جهة عز الدولة بختيار فالتقوا الروم فنصروا عليهم وأسروا جماعة من البطارقة ففرح المسلمون" [3]، وفى هذا الصدد يقدم ابن إسحاق الصابئ فى رسائله دورا أساسيا للخليفة وبختيار فى الإعداد للجهاد ضد البيزنطيين، إذ يذكر: "فأهم امير المؤمنين ما ورد طويلاً وأقلقه شديداً، وبعثه على استقدام عز الدولة كلأه الله والجيوش التى برسمه

= بنواحي الكوفة فخرج إليه وجوه أهل بغداد مستغيثين منكرين عليه اشتغاله بالصيد وقتال عمران ابن شاهين وهو مسلم وترك جهاد الروم ومنعهم عن بلاد الإسلام حتى توغلوها فوعدهم التجهز للغزاة" ؛ كما يذكر ابن تغرى بردى : " ووافق ذلك غيبة السلطان عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه في الكوفة، فخرج إليه أهل العقل والدين من بغداد وفيهم الإمام أبو بكر الرازي الفقيه وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه وشكوا إليه ما دهم الإسلام من هذه الحادثة العظمى فوعدهم عز الدولة بالغزو"، ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص٣٢٩ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص٦٥؛ وانظر كذلك : الحافظ الذهبى، العبر، جـ٢، ص٣٣١ ؛ علاء الدين عبد العزيز، السياسة الخارجية للدولة البويهية، ص٢٥٨ . وعمران بن شاهين المذكور هو والى البطيحة، إحدى الولايات التابعة لأمير بغداد البويهى.

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ ٧، ص٣٢٩.

(٢) الحافظ الذهبى، العبر، جـ٢، ص٣٣١.

(٣) ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، جـ٢، ص٤٠ .

نصره الله، فثنى عنانه إليها مسرعا مبادرا، ولبى دعوته مجيبا مثابرا، وعاد إلى مكانه من الخدمة ومقره من الحضرة"(١).

وإذا كانت الروايات السابقة ترد زمام المبادأة إلى الأمير البويهى بختيار، وتشير إلى أنه الذى بدأ بالمكاتبة لأبى تغلب طالبا منه الإعداد للمعركة المقبلة، بل ونسبت إليه الفضل فى الانتصار على البيزنطيين فى آمد، فإن مصادر أخرى تقدم لنا إشارات تتناقض مع ذلك تماما، وفى هذا الصدد يشير مسكويه إلى أن أبا تغلب هو الذى بدأ بمكاتبة بختيار للغزو وهو يعلم "أنه لا يفى بوعد ولا وعيد، وأنه يقول ولا يفعل"، وأن بختيار كتب بدوره إلى حاجبه سبكتكين "يستنهضه للغزو معه، ويأمره بأن يستنفر من يرغب فى الجهاد، فتقبل سبكتكين ذلك تقبل المنافق" (٢)، وهذه الرواية بطبيعة الحال تقدم لنا رؤية أبى تغلب، ومن قبلها رؤية مسكويه المؤرخ المعاصر للأحداث، لطبيعة الضعف والسوء اللذين اعتريا السلطة الفعلية فى الخلافة ببغداد ممثلة فى الأمير البويهى وأعوانه، وحتى الخليفة المطيع نفسه، وهو الأمر الذى دعمته مصادر أخرى فى سياق حديثها عن تجهيزات بختيار قبل المعركة، حيث تشير إلى أنه طلب من الخليفة مالاً متذرعا بحاجته إليه للقيام بالجهاد، فأجابه المطيع بأن: "الغزو يلزمنى إذا كانت الدنيا فى يدى، وإلىّ تدبير الأموال والرجال، وأما الآن وليس لى منها إلا القوت القاصر عن كفائى، وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف، فما يلزمنى غزو ولا حج ولا شئ مما تنظر الأئمة فيه، وإنما لكم من هذا الاسم الذى يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم، فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا..." (٣).

---

(١) الصابى، المختار من رسائل الصابى، نشر وتعليق شكيب أرسلان، المطبعة العثمانية فى بعبدا، لبنان، ١٨٩٨م، جـ١، ص٤٨.

وفى هذا الصدد يرى دونوى أن بختيار هو الذى قبض على زمام المبادأة فى حشد الجهود ضد البيزنطيين، وأغفل الحديث عن جهود الإمارة الحمدانية فى الموصل.

Donohue , Buwayhid Dynasty , p.269.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، جـ ٢، ص ٣٠٤.

(٣) مسكويه، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٠٧ . ذكرت مصادر أخرى رد الخليفة المطيع بأكثر من=

ورغم هذا الرد الا أن الخليفة اضطر فى النهاية إلى الإذعان لتهديد بختيار له، وعند هذه النقطة توضح المصادر أن بختيار أساء التصرف فى الأموال التى قدمها له الخليفة دون وضع أدنى اعتبار للموقف الحرج الذى بات العراق فيه مع وجود القوة العسكرية البيزنطية فى إقليم الجزيرة مهددة العراق وبغداد ذاتها، وهو الأمر الذى يوضح مدى لامبالاة الأمير البويهى وسوء مسلكه وتقديره للموقف، ويوضح فى الوقت ذاته مدى الضعف والوهن اللذين أصابا الخلافة بحيث غدت ألعوبة فى أيدى أمير فاسد . ولنقرأ هنا تعليقات المؤرخين الدالة على ذلك الحال، إذ يذكر ابن الأثير: " فبذل المطيع لله أربعمائة ألف درهم، فاحتاج إلى بيع ثيابه وأنقاض داره وغير ذلك، وشاع بين الناس من العراقيين وحجاج خراسان وغيرهم أن الخليفة قد صودر، فلما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزاة" (١)، ويذكر القلقشندى: "فباع قماشاً بأربعمائة ألف درهم وأوصلها إليه، فصرفها فى مصالح نفسه وترك أمر الغزاة" (٢)، ويذكر كل من ابن كثير والحافظ الذهبى: " فباع بعض ثياب بدنه وشيئاً من أثاث بيته ونقض بعض سقوف داره وحصل له أربعمائة ألف درهم، فصرفها بختيار في مصالح نفسه

= صيغة، ولكن ذات دلالة واحدة، فيذكر ابن الأثير أنه أجاب بقوله : "إن الغزاة والنفقة عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وتجبى إلي الأموال، وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم مَن البلاد في يده وليس لى إلا الخطبة، فإن شئتم أن اعتزل فعلت"، ويذكر الحافظ الذهبى أنه رد بقوله : " لو كان الخراج يجيء إلي لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه، ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين إليها ضرورة، وأما أنا فليس عندي شيء أرسله إليك"، ويذكر السيوطى قوله : "أنا ليس لى إلا الخطبة، فإذا أحببتم اعتزلت"، ويذكر ابن كثير قوله : " لو كان الخراج يجيء إلي لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه، ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين إليها ضرورة، وأما أنا فليس عندي شيء أرسله إليك".

ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٣٣٠ ؛ الحافظ الذهبى، العبر، جـ٢، ص٣٣١ ؛ السيوطى، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، جـ١، ص ٤٠٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ٢٧٢.

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ص ٣٣٠.

(٢) القلقشندى، مآثر الإنافة، جـ١، ص٣٠٦.

وأبطل حديث الغزاة، فنقم الناس للخليفة وساءهم ما فعل به ابن بويه الرافضي من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد فلا جزاه الله خيراً عن المسلمين "[1].

ومما سبق يمكن القول بأن حالة من الضعف والفساد بلغت مداها فى مقر الخلافة العباسية ببغداد، فذاك خليفة ضعيف تسيره أهواء أمير لاه، وهى حالة من الصعب القول معها بأن أياً من الخليفة أو الأمير البويهى لعب دورا مؤثرا فى الإعداد والتجهيز العسكرى لرد البيزنطيين عن إقليم الجزيرة والعراق، أو شارك بنصيب كبير فى انتصار المسلمين على البيزنطيين فى معركة آمد، فالخليفة المطيع وضح موقفه الضعيف والمتخاذل منذ البداية عندما أوصد أبوابه، ومن قبلها مسامعه، أمام رد الفعل الشعبى لأهل بغداد، كما وضح من رده على طلب بختيار الخاص بالدعم المالى أن أمر البيزنطيين، بل والخلافة بأسرها، لا يعنيه، وربما أراد استغلال الموقف للتدليل على عجز الأمير البويهى، أو نفض يديه من مساعدة من استأسد على الخلافة وفرض نفوذه ووصايته عليها . أما الأمير البويهى ، صاحب السلطة الفعلية فى بغداد، فقد دلل على عدم مبالاته وتهاونه منذ أن ترك الأمر برمته وراح يمارس صيده، وحتى عندما لاذ به البغداديون، استغل الأمر بشأن الإعداد لملاقاة البيزنطيين للضغط على الخليفة واستنزافه ماديا لمصلحته الشخصية.

ويبدو أن ضعف الخليفة والأمير البويهى وسوء الأوضاع فى بغداد قد أثرا سلبا في رد الفعل الشعبى فى بغداد، فرغم أن حماسة الجهاد استنفرت أعدادا غفيرة من العامة، إلا أن العصبية و الخلافات المذهبية مثلت حائلا دون تضافر الجهود الشعبية، ويبدو أن الحاجب سبكتكين لعب دورا أساسيا فى إشاعة حالة من الفوضى فى بغداد، ولعله استغل الموقف للعمل لحسابه الشخصى بكسب

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١١، ص٢٧٢ ؛ الحافظ الذهبى، العبر، جـ٢، ص٣٣١ ؛ وانظر كذلك: السيوطى، تاريخ الخلفاء، جـ١، ص٤٠٢ .

الأعوان ودعم قوته في صراعه مع بختيار[1]، وهو الأمر الذى عكسه مسكويه عندما أشار إلى أن سبكتكين "استنفر المسلمين، فثار من العامة عدد كثير بأصناف السلاح والسيوف والرماح والقسى حتى استعظم ما شاهده منهم، ولم يوفق لتربيتهم وضمهم إلى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالاً عظيما . . . ، وأظهروا ضروب العصبية وأثاروا الفتن وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الأموال والهجوم على الحرم والفروج، وتفاقم الأمر بينهم وبلغ كل المبلغ فى الشر، وعجز السلطان عن إصلاحهم وإطفاء ما أثاره من ثائرتهم حتى صار ذلك سبباً لخراب بغداد" [2]، وفى ذلك يذكر ابن الأثير أيضا: "وقعت فتنة عظيمة وأظهروا العصبية الزائدة وتحزب الناس، وظهر العيارون، وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس وكان سبب ذلك ما ذكرناه من استنفار العامة للغزاة فاجتمعوا وكثروا فتولد بينهم من أصناف السنة والشيعة والعيارين فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور، وفي جملة ما احترق محلة الكرخ وكانت معدن التجار والشيعة" [3]. ورغم أن المصادر أشارت إلى استجابة شعبية كبيرة للجهاد، وأن أعداداً كبيرة خرجت لملاقاة البيزنطيين[4]، إلا أن هذه الأحداث الفوضوية أثرت بالتأكيد في حجم هذه الاستجابة، فيحيى الأنطاكى يصف حال الناس فى بغداد وقتذاك بقوله: "تركوا ذكر الروم وأعرضوا

---

(١) تضايق بختيار من نفوذ زعماء الأتراك وعلى رأسهم سبكتكين وما كان تحت أيديهم من إقطاعات وثروة، فأشار عليه بعض مستشاريه بالقبض عليهم ومصادرة إقطاعاتهم حتى يحد من نفوذهم ويزيد من موارده المالية، فصادف ذلك هوى فى نفسه، وأصدر أمرا بمصادرة إقطاع سبكتكين وعزله من الحجابة، مما أدى إلى نشوب صراع بين عناصر الديلم والأتراك فى أنحاء العراق، كما انحازت إلى سبكتكين طوائف العامة من السنيين، أما الشيعة فانحازوا لبختيار. مسكويه، تجارب الأمم، جـ٢، ص٢٣٤-٢٥٩.

(٢) مسكويه، المصدر السابق، جـ ٢، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، جـ ٧، ص ٣٣٠ ؛ وانظر أيضا : ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٢٧١ ؛ الحافظ الذهبى، العبر، جـ٢، ص٣٣١ .

(٤) يذكر الصابى أن جموعاً كثيرة من الناس ومن طوائف الأعراب والأكراد استنفرت لقتال البيزنطيين، ووصفهم ابن تغرى بردى بأنهم "خلق مثل عدد الرمل" . رسائل الصابى، جـ١، ص٤٨ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٤، ص٦٦ .

عنه جانباً، وأخذ يقاتل بعضهم بعضاً وصارت بينهم حروب عظيمة" [1]، وعلى ذلك يمكن القول بأنه حتى على المستوى الشعبى لعبت العصبية والخلافات المذهبية دورها فى تشتيت الجهود لجمع المسلمين فى مواجهة العدو البيزنطى، ومن ثم ربما كان من الصواب الحذر عند تقدير دور رد الفعل الشعبى فى الانتصار الإسلامى فى معركة آمد [2].

وإذا كان الخليفة والأمير البويهى قد تعاملا مع الموقف بتخاذل وسوء تقدير، فإن المصادر الإسلامية تقدم موقفاً ايجابياً للطرف الثالث فى العراق، ممثلاً فى الإمارة الحمدانية فى الموصل، فمع تناقض المصادر الإسلامية حول الطرف الذى بدأ فى حشد الجهود، وأخذ بزمام المبادأة فى طرح مسألة الإعداد لجهاد الروم، فإن المنطق وسياق الأحداث لا يوحيان بأن أياً من المطيع أو بختيار مثّل ذلك الطرف، ومن هنا ربما يمكن الوثوق بالإشارات التى نسبت هذا الدور لأبى تغلب، فإلى جانب إشارة مسكويه إلى أن أبا تغلب هو الذى بدأ بمكاتبة بختيار لتوحيد الجهود، يشير الصابى، المعاصر للأحداث، فى رسائله إلى أنه كتب إلى "أمير المؤمنين وإلى عز الدولة مولاه حفظه الله، وتولاه بشكوى ما نزل به وحل بساحته والتماس مدد يزيد فى عدته ومنعته"، وأن الخليفة أمر بختيار بتلبية طلبه فـ "امتثل أمر أمير المؤمنين فى إنجاد أبى تغلب بجمع كثيف من الرجال الذين يصلحون للقاء الروم" [3]، وبما أن مسكويه والصابى هم أكثر المصادر الإسلامية قرباً ومعاصرة للأحداث، يمكن القول بأن أبى تغلب الموجود فى الموصل والأكثر قرباً لتهديد الخطر البيزنطى، وفى نفس الوقت الأكثر إدراكاً لخطورة الموقف، هو الذى حمل على عاتقه مهمة دعوة الخليفة والأمير البويهى لتوحيد الجهود ضد

---

(١) يحيى بن سعيد الأنطاكى، صلة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، ١٩٠٩م، ص١٤١. ويقدر يحيى الأنطاكى عدد من اجتمع من العامة بأسلحتهم بنحو ستين ألفاً.

(٢) يرى دونوى أن دور العامة فى بغداد اقتصر على إشاعة حالة من الفوضى والحرب الأهلية، وأنه من الصعب بمكان القول بأنهم شاركوا فى المعركة ضد البيزنطيين.

Donohue , Buwayhid Dynasty , p.269.

(٣) رسائل الصابى، جـ١، ص٤٨.

العدو البيزنطى، وأن استجابة الأخيرين ربما لم تكن على مستوى الحدث كما أشارت الروايات المذكورة سابقا، وربما اقتصرت مساهمتهما فى تحفيز الناس على الجهاد.

وفى هذا الشأن، وعلى عكس ما أشارت إليه بعض المصادر من أن بختيار هو الذى خاض بجنده معركة آمد ضد البيزنطيين [1]، يشير عدد وافر من المصادر الأخرى إلى أن الطرف الحمدانى هو الذى قاد هذه المعركة، وهو الأمر الأكثر منطقية واتساقاً مع مجريات الأمور وسياق الأحداث سواءً فى عاصمة الخلافة أو فى إقليم الجزيرة، فالمؤرخ المعاصر مسكويه يشير إلى أن هبة الله بن ناصر الدولة هو قائد هذه المعركة، حيث يقول: "وفى هذه السنة -٣٦٢هـ- جرت وقعة بين الدمستق وبين هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميافارقين" [2]، والصابى نفسه رغم أنه نسب دوراً كبيراً للخليفة وبختيار فى الإعداد للجهاد ضد البيزنطيين أشار إلى أن أبا تغلب " أنفذ أخاه فى معظم الرجال الذين أمده بهم عز الدولة رعاه الله، إذ كانوا أقوى تلك الطوائف المجتمعة لديه وأولاها بعائدة النصر والظفر عليه . . . ، ووردوا ظاهر آمد يوم الثلاثاء لثلاث ليال بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة" [3]، كذلك يذكر الهمدانى: "وصل الخبر بأن الدمستق قصد آمد، فخرج إليه واليها هزامرد مولى أبى الهيجاء بن حمدان، وانضم إليه هبة الله بن ناصر الدولة، وساعدهم أهل الثغور، فنصرهم الله تعالى" [4].

---

(١) ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، جـ٢، ص٤٠ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٦٥-٦٦.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، جـ٢، ص٣١٢.

(٣) رسائل الصابى، جـ١، ص٤٩.

(٤) الهمدانى، تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م، جـ١، ص٢١١.

من الملاحظ أن ابن كثير أشار إلى وجود جبهتين إسلاميتين فى القتال ضد البيزنطيين، إحداهما بقيادة بختيار والأخرى بقيادة أبى تغلب، حيث يذكر :" وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرازي الحنفي، وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني، وابن الدقاق الحنبلي بعزالدولة بختيار بن بويه=

وإذا كانت المصادر العربية قد اختلفت حول هوية الطرف الذى قاد معركة آمد، فإنها قدمت إشارات تفيد -إلى حد كبير- فى تفسير انتصار المسلمين على البيزنطيين فى هذه المعركة، مع الوضع فى الاعتبار أن الظروف التى كانت تمر بالخلافة والإمارة البويهية، وحتى الإمارة الحمدانية فى الموصل، كانت توحى بأن ميزان القوة العسكرية يميل لصالح البيزنطيين، وأن المقدمات التى سبقت المعركة اختلفت كثيراً عن نتائجها، وهو الأمر الذى يدفع الباحثة إلى الاعتقاد بأنه مع التقدير التام لدور أبى تغلب والمجاهدين المسلمين فى تحقيق النصر فى هذه المعركة، إلا أن عوامل النصر فيما يبدو ارتبطت أيضاً بالظروف المباشرة التى أحاطت بالعمليات العسكرية فى مسرح المعركة، وأقصد هنا بالطبع مدينة آمد، إذ يبدو أن حصانة المدينة والطبيعة الجغرافية المحيطة بها كان لهما دور أساسى فى انتصار المسلمين، وهو الأمر الذى -على حد علمى- لم ينتبه إليه الباحثون قبلاً.

وفيما يتعلق بحصانة المدينة، فقد أمدتنا المصادر بإشارات مهمة فى هذا الصدد، فالرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار المنطقة بعد أكثر من نصف قرن كتب عنها يقول: " في السادس من شهر دي القديم ٢٢ ديسمبر ١٠٣٦م بلغنا آمد التي شيدت على صخرة واحدة طولها ألفا قدم وعرضها كذلك، وهي محاطة بسور من الحجر الأسود كل حجر منه يزن ما بين مائة وألف، وأكثر هذه الحجارة ملتصق بعضه بالبعض من غير طين أو جص، وارتفاع السور عشرون ذراعاً وعرضه عشر أذرع، وقد بني على بعد كل مائة ذراع برج نصف دائرته

= وحرضوه على غزو الروم، فبعث جيشاً لقتالهم، فأظفره الله بهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وبعثوا برءوسهم إلى بغداد فسكنت أنفس الناس، وفيها -سنة ٣٦٢هـ - سارت الروم مع ملكهم لحصار آمد وعليها هزرمرد غلام أبي الهيجاء بن حمدان، فكتب إلى أبي تغلب يستنصره، فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله ناصر الدولة بن حمدان، فاجتمعا لقتاله فلقياه في آخر يوم من رمضان"، وربما ترجع هذه الرواية إلى أن ابن كثير المتأخر عن الأحداث صادف روايات متناقضة حول هوية قادة الجهاد ضد البيزنطيين، فلجأ إلى حل وسط بأن نسبه إلى الطرفين البويهى والحمدانى، أو لعل الأمر التبس عليه خاصة وأن روايته عن المعركة غير دقيقة واعترتها بعض الأخطاء، حيث يذكر أن قائد الروم فى معركة آمد هو الإمبراطور نفسه، وأن المعركة وقعت فى آخر يوم من رمضان. ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٢٧٢-٢٧٣.

ثمانون دراعاً وشرفاته من هذا الحجر بعينه، وقد شيدت في عدة أماكن داخل المدينة سلالم من الحجر ؛ ليتيسر الصعود إلى السور، وقد بنيت قلعة على قمة كل برج، ولهذه المدينة أربعة أبواب كلها من الحديد الذي لا خشب فيه، يطل كل منها على جهة من الجهات الأصلية ويسمى الباب الشرقي باب دجلة والغربي باب الروم والشمالي باب الأرمن والجنوبي باب التل، وخارج هذا السور سور آخر من نفس الحجر ارتفاعه عشر أذرع، ومن فوقه شرفات فيها ممر يتسع لحركة رجل كامل السلاح بحيث يستطيع ان يقف فيه ويحارب بسهولة، ولهذا السور الخارجي أبواب من الحديد شيدت مخالفة لأبواب السور الداخلي، بحيث لو اجتاز السائر أبواب السور الأول وجب عليه اجتياز مسافة لبلوغ أبواب السور الثاني، وهذه المسافة تبلغ خمس عشرة ذراعاً" (١)، كما كتب عنها المقدسى، المتوفى ٣٩٠هـ، أى إنه كان قريباً من الأحداث وعاصرها: " آمد اليوم دار جهادهم" ، وأن "كورة آمد باردة لقربها من الجبال" (٢)، وكتب عنها ابن حوقل: "ومدينة آمد على جبل من غربى دجلة، مطل عليها من نحو خمسين قامة، وعليها سور أسود من حجارة الأرحية ويسمى هذا السور ميموناً لشدة سواده " (٣)، كذلك يذكر عنها الإدريسى: "مدينة حسنة حصينة على جبل من غربى دجلة، مطل عليها نحو مائة قامة، وعليها سور من حجارة الأرحاء أسود اللون" (٤).

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، تحقيق يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م، جـ١، ص ٤٢. وجدير بالذكر أن ناصر خسرو أشار ثانية إلى حصانة المدينة، ففى معرض حديثه عن جامع ابن طولون ذكر أنه "مشيد على ربوة وله جدران محكمة، ولم أر أعظم منهما غير جدار آمد". ناصر خسرو، سفرنامه، جـ١، ص١٠٠.

(٢) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، تحقيق غازى طليمات، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٠م، جـ١، ص ١٢٩، ١٣٢.

(٣) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، جزءان، ط٢، بريل، ١٩٣٨-١٩٣٩م، جـ١، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٤) الإدريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م، جزءان، جـ٢، ص٣٦٣. كما أشار الإدريسى إلى أن الشعبة الثانية من جبل اللكام تمر مع آمد إلى أحواز ميافارقين. الإدريسى، المصدر السابق، جـ١، ص٢٥٣.

وهكذا قدمت لنا كتب الرحالة والجغرافيين العربية صورة حية ونابضة لدى الحصانة الطبيعية والصناعية التى تمتعت بهما مدينة آمد، وهو أمر دلت عليه المصادر التاريخية أيضاً بصورة تطبيقية، حيث يشير ابن كثير إلى أن الخليفة المعتضد أمر عام ٢٨٦هـ بهدم سور آمد "فهدم البعض ولم يقدر على ذلك" (١)، كما أشار إلى محاولة البيزنطيين الاستيلاء عليها سنة ٣٥٤هـ "فحاصروها ولم يقدروا عليها" (٢)، وفيما يتعلق بدور حصانة آمد وطبيعتها الجغرافية فى انتصار المسلمين فى معركة آمد، نجد أن هناك إشارات تشير إلى استثمار المسلمين لهما فى التخطيط لاستراتيجية القتال وإدارة المعركة، فمسكويه يفسر سبب انتصار المسلمين بقوله: "كانت عدة الدمستق -مليح- عظيمة كثيفة، لكنه اتفق أن لقيه فى مضيق لا تجول فيه العساكر، وكان الدمستق فى أول عسكره على غير أهبة تامة، فانهزم الروم"(٣)، ويذكر الصابى فى رسائله أن المسلمين عرفوا "صحة خبر الدمستق وحصوله على أفواه الدروب فى خمسين ألف رجل منهم عشرون ألفاً من المدججة وذوى المراتب المقدمة، .... وصدقوهم القتال فى المعترك الضيق فلما استعرت الملحمة وعلت الغمغمة ودارت رحى الحرب واستحر الطعن والضرب واشتجرت سمر الرماح وتصافحت بيض الصفاح، .. تنادى الكفار بالويل والثبور، فنكصوا على أقدامهم مجدين فى الهزيمة" (٤)، كما يذكر الهمدانى: "وكان أكثر السبب فى خذلان الله تعالى للروم أن هبة الله - هبة الله بن ناصر الدولة- تعالى متقدمهم - يقصد الدمستق مليحا- في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يتأهب فكانت الحال في أسره كما وصفنا"(٥)، وأخيراً يشير ابن كثير إلى أن المسلمين لقوا

---

(١) ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٨ .

(٢) ابن كثير، المصدر السابق، جـ١١، ص٢٦٠ ؛ ويذكر ابن الأثير أن هذا الحصار كان عام ٣٥٥هـ، وأن المدينة استعصت عليهم، فقتلوا وأسروا عددا من أهلها، ثم تراجعوا عنها . ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص٢٩٥.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، جـ٢، ص٣١٢.

(٤) رسائل الصابى، جـ١، ص٤٩-٥٠.

(٥) الهمدانى، تكملة، جـ١، ص٢١١.

الروم ' في مكان ضيق لا مجال للخيل فيه فاقتتلوا مع الروم قتالاً شديداً، فعزمت الروم على الفرار فلم يقدروا فاستحر فيهم القتل "[1].

وعلى ذلك يمكن القول بأن المسلمين استثمروا الطبيعة الجغرافية القاسية المحيطة بآمد ومعرفتهم بطرقها ودروبها وجهل البيزنطيين بها، فى إعداد كمين لاصطياد القوات البيزنطية باستدراجها لدخول مضيق جبلى وعر وضيق لا يصلح لتجوال الخيل والجنود، فشتتوا بذلك تماسكها وتنظيمها، وحبسوها داخل المضيق فى الوقت الذى اعتلى الرماة المسلمون قمة المضيق من الجانبين وأمطروا البيزنطيين بوابل من السهام والرماح، محققين بذلك عنصرى المفاجأة والمبادأة، ويبدو أن الآخرين حاولوا العودة مرة أخرى للخروج من المضيق إلا أن المسلمين لاقوهم هناك وسدوا عليهم مدخله بسيوفهم.

ولا شك فى أن استراتيجية المسلمين العسكرية وإدارتهم لهذه المعركة تظهر حنكة عسكرية ومعرفة تامة بطبيعة الجيش البيزنطى وتكوينه وأسلحته وعناصره، وهى أمور خبرها المسلمون خلال معارك عديدة سابقة خاضوها مع البيزنطيين، والمطالع للكتابات العسكرية البيزنطية يلاحظ من الوهلة الأولى أن سلاح الفرسان كان يشكل القوة الأساسية الضاربة للجيش البيزنطى، ولذلك غالبا ما تقدموا المشاة فى ساحة المعركة [2]، وهو الأمر الذى أكده الصابى بإشارته إلى أن الدمستق جاء إلى المضيق "فى خمسين ألف رجل منهم عشرون ألفاً من المدججة وذوى المراتب المقدمة"[3]، والمدججة هنا هم الفرسان المثقلون بالأسلحة على اختلاف أنواعها، ويبدو أن المسلمين أرادوا بخطتهم فى ساحة

---

(١) ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٢٧٣.

(٢) طارق منصور، فن القتال، ص١٦٠ ؛ فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، جـ٢، القاهرة، ١٩٦٦، ص٢٧٤.

McGeer , Byzantine Warfare , pp.188-190 ; Dennis , Byzantine Military Treatises , pp.191-197; Kolias , T.G., The Taktika of Leo VI the Wise and the Arabs , in: Graeco-Arabica 3 , 1984 , pp.129-135.

(٣) رسائل الصابى، جـ١، ص٤٩ .

المعركة تعطيل هذه القوة الضاربة بشلها وعرقلة حركتها داخل المضيق، ولتتخيل حركة الخيول والمشاة من القوات البيزنطية وهم مدججون بالسلاح فى مضيق جبلى وعر وفوقهم مباشرة رماة السهام والرماح من المسلمين . بطبيعة الحال كانت خطة ذكية استطاع المسلمون فيها تعطيل التفوق العسكرى البيزنطى فى العدة والعتاد فى وقت بات السيف والرمح فى ظل ظروف جغرافية قاسية هما السلاح الحاسم فى المعركة.

وعلى ذلك تمخض عن المعركة هزيمة بيزنطية ساحقة، وفى الوقت الذى كان من الطبيعى أن تصمت المصادر البيزنطية المعاصرة عن تسجيل أية إشارة إلى هذه المعركة وكأنها لم تحدث، أفاضت المصادر العربية فى ذكر نتائجها وأصدائها المباشرة على العالم الإسلامى، فقد كتب مسكويه: " انهزم الروم وأخذ الدمستق أسيراً، وتمكن المسلمون منهم وأعز الله دينه، وكثر القتل والأسر حتى أنفذ إلى بغداد الرءوس والأيدى وكانت كثيرة فشهرت، وحبس أبو تغلب الدمستق إلى أن جرح به جرح عظيم، وتأدت الحال به إلى الموت بعد أن كان أحسن ضيافته، واجتهد فى علاجه وقدر أن يبلغ به من ملك الروم ما يريد"[1]. ويشير الصابى إلى عظم نتائج هذه المعركة بقوله: "وأسر، بعد قتل ألوف منهم فى المعركة، الدمستق رئيس عساكرهم وقائدهم ومدبر حروبهم ومرتبها، وما أخذ المسلمون قبله دمستقا، وذلك من غرائب النعم التى باتت"، كما يشير إلى أنه من بين الأسرى البيزنطيين نائب الدمستق المعروف لدى المسلمين باسم ابن البلنطس، وجماعة من ذوى الرتب العالية فى الجيش البيزنطى من "البطارقة والزراورة والأراخنة والطراخنة"، كما أشار إلى الغنائم التى عادت على المسلمين "وأفاء الله على أوليائه الصالحين من الخيل والسواد والأسلحة والأسلاب ما ازدادت به قوتهم واشتدت معه شوكتهم "[2].

(١) مسكويه، تجارب الأمم، جـ ٢، ص ٣١٢.

(٢) رسائل الصابى، جـ١، ص ٥٠.

ولا شك فى أنه كان لهذا النصر أثر نفسي أسهم فى رفع معنويات المسلمين بعد مرارة هزائم عديدة شهدوها على أيدى البيزنطيين، فيذكر ابن الصابى أن أهل الثغور بعد هذا النصر "انبسطوا فى جمع غلاتهم مستبشرين، وانتشروا فى مسالكهم ومعايشهم آمنين مطمئنين" (١). ومما يصور حالة الفرحة التى عمت المسلمين واعتزازهم بهذا النصر أن أبا تغلب الحمدانى أرسل إلى بغداد عدداً كبيراً من رءوس وأيدى القتلى البيزنطيين (٢)، وتم تبادل رسائل التهنئة بين مسئولى العالم الإسلامى ابتهاجاً بالنصر (٣)، ولاشك أن هذه الفرحة العارمة مرجعها الأول هو استعادة المسلمين ثقتهم بأنفسهم وبقدرتهم على ردع الخطر البيزنطى، خاصة وأن نصر آمد جاء بعد هزائم مريرة، وأنه نتج عنها بصورة مباشرة القضاء على خطر حملة مليح التى تهددت إقليم الجزيرة ومدنه، بل ربما كان من الممكن أن تهدد بغداد والعراق كلها.

وإذا كانت معركة آمد مصدراً للبهجة والفرح فى العالم الإسلامى، فقد وقعت كوقع الصاعقة على البيزنطيين، الذين تجرعوا مرارة هزيمة لم يألفوها منذ وقت ليس بقصير، ورغم أن المؤرخين البيزنطيين التزموا الصمت المطبق، ولم يشيروا إلى المعركة من قريب أو بعيد، إلا أن متى الرهاوى سجل لنا هذا الشعور فى رسالة بعث بها الدمستق مليح إلى الإمبراطور تزيمسكس جاء فيها: " إننا لم نعتبر جديرين بأن ندفن وفقاً للتقاليد المسيحية فى أرض خاصة بالمسيحيين، ولم نحظ لمواراة رفاتنا إلا بأرض ملعونة وقبور كقبور الأشرار، كلا إننا لا نعترف بك كرئيس شرعى للإمبراطورية الرومانية المقدسة ؛ ذلك لأن الهلاك الأليم الذى لقيه عدد كبير من المسيحيين، ودماءهم التى أريقت عند أسوار آمد، وموتنا فوق أرض أجنبية، كل هذه مظالم تقع على رأسكم،

---

(١) رسائل الصابى، جـ١، ص٥٠-٥١.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، جـ٢، ص٣١٢ ؛ رسائل الصابى، جـ١، ص٥١.

(٣) المصدر السابق، جـ١، ص٥١-٥٦.

وستحاسبون عليهـا أمام المسيح يوم الحساب، وذلك ما لم تثأروا من هذه المدينة ثأرا مشهودا" [١].

وفى هذا السياق يرى أحد الباحثين الغربيين أن الدمستق مليحا وسوء قيادته للمعركة كانت سـبباً أساسياً فى هزيمة البيزنطيين، وأن نتيـجة المعركة ربما كانت ستختلف إذا قادهـا الإمبراطور نفسه [٢]، وهو رأى يمكن مناقشته فى ضوء أن نقفـور فوقاس ويوحنا تزيمسكس ذاتهـما حققـا انتصارات كبـيرة على المسلمين وقتـما كـان كل منهما دمـستق، وأن كـلاً منهمـا كان ينتمى إلى ذات الـعنصر الأرمنى الذى انحدر منه مليح [٣]، وأخيراً مـا فشل فيه مليح فـشل فيه يوحنا تزيمسكس نفسـه فى حملته الأخيرة على إقليم الجـزيرة سنة٩٧٤م، وهى حملة انتقامية لهـزيمة البيزنطيين فى معركة آمد، فعند أسوار آمـد أيضاً فشل حصاره، واضطر إلى الانسـحاب عنها بعـد أن تبين له صعـوبة اقتحـام تلك المدينة التى تمتعت بحصانة غير عادية [٤].

***

(١) عمر كمال توفيق، يوحنا تزيمسكس، ص ١٢٨.

(٢) Walker , P.E., The Crusade of John Tzimisces in the Light of New Arabic Evidence , in : Byzantion , 47 , 1977 , pp.313-315.

(٣) ولد يوحنا تزيمسكس فى منطقة Khozan الأرمينية، التى حملت اسمه بعد ذلك، استطاع أجداده أن يحتلوا مكانة رفـيعة بين الطبقـة العسكرية فى بيزنطة، أما نقـفور فوقاس فـقد انحدر من قبـادوقيا بآسيـا الصغـرى، وإن كان البـعض يرى بأن هذه العائلة ذات جـذور أرمينيـة. عن دور الأرمن فى الجيش البيزنطى خلال القرن العاشر، انظر :

هانى عبد الهادى البشير، دور الأرمن فى الجيش والحياة السياسية للدولة البيزنطية من بداية القرن السـابع حتى نهـاية القـرن العاشـر الميـلادى، مجلة المؤرخ العـربى، العـدد الرابع عشـر، ٢٠٠٦م، ص٧١-١٠٢.

(٤) عن هذه الحملة انظر : عمر كمال توفيق، يوحنا تزيمسكس، ص١٢٨-١٤٠.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية والمعربة :

إبراهيم الصابى (أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابى)، المختار من رسائل الصابى، نشر وتعليق: شكيب ارسلان، المطبعة العثمانية فى بعبدا، لبنان، ١٨٩٨م.

إبراهيم العدوى،

- الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة ١٩٥٨م.
- الأمويون والبيزنطيون، القاهرة، ١٩٦٣م.

إبراهيم بيضون، البويهيون والخلافة، بحث منشور فى مجلة المنطلق، عدد١١٤، لبنان، شتاء ١٩٩٦م .

أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون فى شرقى البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجرى / التاسع والثانى عشر الميلادى، القاهرة، ١٩٨٢م .

أرشيبالد لويس ؛ القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٦٠م .

الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.

إسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٨٣م .

الإصطخرى (إبراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى، توفى فى القرن الرابع الهجرى) ، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحينى، القاهرة، ١٣٨١هـ.

ابن الأثير (على بن محمد بن أبى الكرم، ت ٦٣٠هـ)، الكامل فى التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضى، ١١جزءاً، ط٢، دار الكتب العلمية، ، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

الأنطاكى (يحيى بن سعيد الأنطاكى، توفي في القرن الخامس الهجري)، صلة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، ١٩٠٩م.

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى، ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: عادل نويهض، المؤسسة المصرية لعامة للتأليف والترجة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

الحنبلى (ابن العماد، ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق: محمود فاخورى، محمد رواس، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على بن حوقل النَّصيبى، ت ٣٦٧هـ)، كتاب صورة الأرض، جزءان، ط٢، بريل، ١٩٣٨-١٩٣٩م .

ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت٣٠٠هـ)، كتاب المسالك والممالك، بغداد، د.ت.

ابن خلدون (أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد المالكى الحضرمى، ت٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، بيروت، ١٩٧١م.

الحافظ الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى، ت ٧٤٨هـ)، العبر فى خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ٥ أجزاء، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م .

السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

صلاح حسن العاور، المحاولات العربية لفتح القسطنطينية فى العصر الأموى، مجلة المؤرخ العربى، العدد الثامن، ٢٠٠٠م.

طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجى، جـ١ البيزنطيون والعالم الإسلامى، القاهرة، ٢٠٠٣م .

- قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس وكتابه "عن الأقاليم البيزنطية"، منشور فى كتاب قطوف الفكر البيزنطى، جـ١ الأدب، القاهرة، ٢٠٠٢م .
- الأقاليم البيزنطية فى ضوء كتاب قسطنطين بورفيروجنيتوس "عن الأقاليم البيزنطية"، منشور فى كتاب قطوف الفكر البيزنطى، جـ١ الأدب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- فن القتال عند البيزنطيين: دراسة فى الاستراتيجية العسكرية فى ضوء "تكتيكا ليو الحكيم"، منشور فى كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى: مجموعة بحوث مهداة إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاما، تحرير حاتم عبد الرحمن الطحاوى، القاهرة، ٢٠٠٣م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ١٠ أجزاء، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

عبد الرحمن محمد العبد الغنى،
- الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية ٣٣٩-٤٠٠هـ/ ٦٦٠-٩٥٠م، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الحادية عشرة، الرسالة الحادية والسبعون، ١٤١٠ / ١٤١١هـ - ١٩٨٩/ -١٩٩٠م .
- أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين ٣٣-٤٥٧هـ/ ٦٥٣-١٠٦٤م، الكويت، ١٩٨٩م.

علاء الدين عبد العزيز أبو الحسن، السياسة الخارجية للدولة البويهية ٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، ١٩٩٧م.

عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبى: الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية، القاهرة، ١٩٦٦م.

فازيليف، العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة، القاهرة، د.ت.

فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، جزءان، القاهرة، ١٩٦٦م.

قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة محمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٤م.

القلقشندى (أحمد بن عبد الله القلقشندى، ت ٨٢١هـ)، مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ٥ أجزاء، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥م.

ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى، ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: على محمد البجاوى، ١٤ جزء، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٢م.

مسكويه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب، ت ٤٢١ هـ)، كتاب تجارب الأمم، نشر: ف أمدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.

المقدسى (محمد بن أحمد المقدسى، ت ٣٩٠ هـ)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، تحقيق: غازى طليمات، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٠م.

ناصر خسرو (ت ٦١٤ هـ)، سفرنامه، تحقيق: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م.

نجلاء مصطفى عبد الله شيحة، مدينة القسطنطينية فى القرن العاشر، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

هانى عبد الهادى البشير، دور الأرمن فى الجيش والحياة السياسية للدولة البيزنطية من بداية القرن السابع حتى نهاية القرن العاشر الميلادى، مجلة المؤرخ العربى، العدد الرابع عشر، ٢٠٠٦م.

الهمدانى (أبو الفضل محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمدانى، ت٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.

وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ٣٢٤-١٠٢٥م، الاسكندرية، ١٩٨٧م.

ياقوت الحموى (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى، ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت، د.ت.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

Canard ,M., Les expeditions des arabes contre Constantinople , Journal Asiatique 108 (1926) pp.61-121.

Constantine Porphyrogenitus ,

- Three Treatises on Imperial Military Expeditions , trans. J.Haldon , Wien , 1990.

- De Administrando Imperio , ed. G. Moravcsik , trans. J.H. Jenkins , 1967.

Donohue , J.J., The Buwayhid Dynasty in Iraq 334H./945 to 403H./1012 : Shaping Institutions for the Future , Brill- Leiden- Boston , 2003.

Finlay , J.V., History of the Byzantine Empire 716-1057 AD , New York , 1913.

Guerdan , R., Byzantium : Its Triumph and Tragedy , New York , 1962.

Jenkins , R., Byzantium : the Imperial Centuries 610-1071 A.D. , London , 1966.

Kolias , T.G., The Taktika of Leo VI the Wise and the Arabs , in: Graeco-Arabica 3 , 1984.

The Praecepta militaria of the Emperor Nikephoros II Phokas , in : Sowing the Dragon's Teeth : Byzantine Warfare in the Tenth Century , trans . E. McGeer , Washington , D.C., 1995.

Schlumberger , G., Un empereur de Byzance Nicéphore Phocas , Paris , 1930.

Skirmishing , in : Three Byzantine Military Treatises , trans. G.T. Dennis . Washington , D.C., 1985.

Tougher , Sh., The Reign of Leo VI (886-912) : Politics and People . Leiden- New York- Koln , 1997.

Whittow , M., The Making of Orthodox Byzantium 600-1025 , London , 1996.

Walker , P.E., The Crusade of John Tzimisces in the Light of New Arabic Evidence , in : Byzantion , 47 , 1977 , pp.313-315.

***